Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اتّسعت دائرة الإنسان للغته، اتّسعت معها دائرة إنتاج الإنسان لمعارفه.

وفي الواقع، ليس شيئاً أجلى للمعرفة وأبينَ لها من أن تكون في تشكّلها لغة ذاتَ وجوه، كل وجه يقول اللامرئي منها في الوجه الآخر أو اللامفكر فيه. ولقد تواضعت الدراسات اللّسانية، منذ سوسير، على القول إن اللغة اختلاف. وإن اختلاف اللغة ليُيَسّر للمعرفة أشكالاً كلامية تكشف بها عن مكنونها، ووجوهاً أدائيّةً تبين بها عن ذاتها، وهيئات إنجازية تُري بها ما خفي منها. فهي إذا قالت نفسها في اللغة مرة على أحد وجوهها، أمكن لها أن تقول كل وجوهها المتعددة مرات أخرى. فكأن بينها وبين اللغة نسباً، أو كأن بينهما اشتراكاً في طبيعة واحدة: فاللغة اختلاف، والمعارف كذلك. ومن هنا، كانت اللغة، كما يقول غرانجير (Granger): «شكلاً للمعرفة الموضوعية»[31].

ويقودنا ما تقدم إلى القول إن الفكر يأتي في علاقته مع المعرفة من باب اللغة. فهو بها يصبح شكلاً تقول فيه ما انتهت إليه تجارب الإنسان وممارسته، وما آلت إليه تأمّلاته وتخيّلاته. ولذا يكون، بتوسط اللغة، دالَّ المعرفة الذي تعلن به عن نفسها ظهوراً، كما يكون مضمونَها الذي تفتن اللغة في تصويره والإخبار عنه.

والمعرفة أيضاً، إذ تمثّل مرحلة لاستقرار الفكر إنتاجاً، فإنها تتخذ إليه من اللغة سبيلاً، فتحاوره بها، وبها تستثيره، تمرّداً منها على وضعها ورغبة في توسيع دوائرها. وإنها لتُفرغ فيه ما في اللغة من حمولات معرفية، وإمكانات قابلة للإنجاز. فيعاود نشاطه فيها وإنتاجه لها، وهكذا دواليك. ولذا تكون هي الأخرى، بتوسّط اللغة دال الفكر الذي يعلن بها عن نفسه ظهوراً، كما تكون مضمونَه الذي تفتنُّ اللغة في تصويره والإخبار عنه.